الفلسفة السياسية عند انطونيو غرامشي

م.م ريام محمد طاهر حيدر

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

riyammohqo@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث السيرة الفكرية والسياسية لأنطونيو غرامشي، المفكر الماركسي الإيطالي، الذي أسهم في بلورة مفاهيم جديدة في الفكر السياسي، لا سيما مفهومي "المثقف العضوي" و"الهيمنة الثقافية". يعرض البحث محطات حياة غرامشي من ولادته عام ١٨٩١، مروراً بتكوينه الفكري في طورين، وانخراطه في الحزب الاشتراكي ثم تأسيسه للحزب الشيوعي الإيطالي. ويناقش ظروف اعتقاله القاسية في ظل النظام الفاشي بقيادة موسوليني، والتي شكلت السياق الذي أنتج فيه عمله الأبرز "دفاتر السجن" (Prison Notebooks). يسبر البحث غور الأثر الفلسفي لأسماء مثل: بنديتو كروتشه، وأنجيلو تاسكا على فكره، كما يناقش مساهماته النظرية في قضايا مثل المجتمع المدني، الحزب، الطبقة، والأيديولوجيا. ينتهي البحث بتسليط الضوء على التطبيق الواقعي لمفاهيم غرامشي ضمن سياقات الهيمنة والتغيير الثقافي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: (سيرة ذاتية، مؤلفات، مرتكزات فكريه، تطبيقات)

Abstract

This academic paper explores the intellectual and political biography of Antonio Gramsci, the Italian Marxist thinker who significantly influenced modern political theory, especially through his concepts of the organic intellectual and cultural hegemony. The study traces Gramsci's life from his birth in 1891, through his formative intellectual years in Turin and his involvement with the Socialist Party, culminating in the co-founding of the Italian Communist Party. It examines the harsh conditions of his imprisonment under Mussolini's fascist regime, during

which he composed his seminal work Prison Notebooks. The paper also explores philosophical influences such as Benedetto Croce and Angelo Tasca, and investigates Gramsci's theoretical contributions to issues like civil society, the role of the party, class representation, and ideology. The paper concludes by highlighting the practical applications of Gramsci's thought in contexts of cultural and social transformation.

Keywords: (biography, works, intellectual pillars, applications)

المقدمة:

كان أنطونيو غرامشي، الفيلسوف والمفكر الشيوعي، من ألمع العقول التي جددت في الفكر الماركسي الاشتراكي الحديث. لم يكن غرامشي مجرّد ناقدٍ للفكر السائد، بل كان صاحب رؤية ثاقبة أعادت الاعتبار لدور الإنسان، ولصوت العقل، ولنبض الثقافة في صياغة التاريخ. فعلى خلاف التصورات التقليدية التي حصرت مسار التاريخ في عوالم الاقتصاد والصراع الطبقي المادي، انطلق غرامشي من قناعة راسخة بأن الأفكار، رغم تجريدها، تملك قوة حقيقية، وأنها قادرة على التأثير في البنى الاقتصادية كما تؤثر الأدوات والعلاقات الإنتاجية ذاتها.

ومن هذا المنطلق، صاغ غرامشي واحدًا من أكثر المفاهيم الفكرية تأثيرًا في القرن العشرين: "الهيمنة الثقافية". فليست السيطرة مرهونة بالقوة العسكرية أو الاقتصادية وحدها، بل تُمارَس أيضًا حين تتمكن الطبقات المهيمنة من فرض رؤاها وقيمها على النسيج الثقافي العام، حتى تغدو أفكارها وكأنها حقائق طبيعية لا جدال فيها. وهنا يظهر الدور المحوري للمثقفين، الذين رأى فيهم غرامشي طليعة قادرة على بناء وعي جديد يفتح آفاق التحرر الحقيقي.

إن أهمية غرامشي لا تنبع فقط من إسهاماته النظرية، بل من نبض رسالته التي جعلت من "الهيمنة" أداة نضالية واستراتيجية فكرية لأي حركة تتوق إلى التغيير العميق. فالهيمنة، في نظره، ليست سيفًا في يد السلطة فحسب، بل ساحة معركة تُخاض فيها أشرس المواجهات من أجل كسر قيود الوعي الزائف وبناء عالم أكثر إنصافًا وعدلاً. سيرته الذاتية ومؤلفاته.

أولاً: حياته:

هناك تواريخ كثيرة ومتداخلة تمثل محطات في حياة غرامشي، وتطور فكره في شتى المناحي، ويبدو أن تتبع هذه التواريخ يجعلنا نتفهم الظروف الأخيرة التي لازمت غرامشي أثناء سجنه، وكتابة أهم مؤلفاته، وا عني بها ((دفاتر السجن)) وهناك من يترجمها بـ((كراسات

الـ سجن)) (غرامـ شي، ١٩١٤، الـ صفحات ٥–٧) .

١٨٩١/ ولد انطونيو غرامـ شي يوم ٣٣ كانون الـ ثاني في بلده ((آليس)) كاقلباري في إيطاليا.

- ١٨٩٤/١٩١١/ يـ تابع غرامـ شي درا سته في مدر سة دينية ويحصل على الشهادة الابتدائية لكن ظروف حياة عائلـ ته المتوا ضعة تجبره عـ لى ترك المقا عد ليشتغل سنتين بمساعدة أمه يعود ثاذ ية للدرا سة، ويند شر أولى مقالا ته في اليومـ ية ا لتي تـ صدر في ((كاقلباري)) تحت عنوان ((لويند ساردا)).

- في سنة ١٩١١ يحـ صل غرامـ شي عـ لى الباكالور يا وسجل بعد حصوله على منـ حة في ((كوليج كارلو البرتو)) بمدينة ((ثورين)) بمعهد الآداب.

١٩١٣/١٩١٨/ تابع غرامـ شي درا سات في الآداب والحقوق، ويقوم باتصالاته الأولى مع الحركة الا شتراكية في ((ثورين)) ويـ تدخل في مناق شة موا قف ا لحزب الاشتراكي الإيـ طالي من ا لحرب العالـ ية الأولى بمقالـ ته ((الحياد النشيط والفعال)) بعدها يصبح مباشرة عضواً في هيئة تحرير جريدة ((افانتي)) بعد التمردات الشعبية في ٢٣/٢٦

- أغـ سطس ١٩١٧ تم إيـ قاف أغـ لب المـ مثلين الاشتراكيين لمدينة ثورين، فأصبح سكرتير اللجـ نة التنفيذية المؤقتة لفرع الحزب الاشتراكي في المدينة.

- ١٩١٩/ أصدر بالتعاون مع منا ضلين إيـ طاليين هم ((طا سكا))، ((ترا سيننني))، ((توقلـ ياني)) مجـ لة أسبوعية ثقافيـ ة ا شتراكية ((لوديـ نو–نو فو)) تولى إدارتـ ها، في جديـ لة خلال الإ ضراب السيا سي التـ ضامني مع الجمهور يات الـ شيوعية لرو سيا وهنغاريا، ثم سُجن في ثورين، وبـ عد خروـ جه في الخر يف بدأ في تنـ شيط ((مجالس العـ مال)) و((مدرسة الثقا فة))، التابـ عة للمجـ لة (غرامـ شي، د.ت، صفحة ١٥) .

- ١٩٢٠/ مع بداية الاضطرابات العمالـ ية في ثورين، كـ تب وثيـ قة نقد ية من أ جل تجد يد ا لحزب الاشتراكي الإيطالي، هذا النص الذي اعتبره لـ ينين قاعدة أساسية لتنمية الحر كة العمالـ ية، يـ ساهم في خلق مجموعة العمال الشيوعيين ود عا إلى ا حتلال المصانع من طرف العمال مع المناضل ((بوديفا)) ثم أسس رسمـ ياً القـ سم الـ شيوعي للـ حزب الا شتراكي (غرامشي، د.ت، صفحة ١٧).

- ١٩٣١/ ينتخب في أول لجنة مركزية مؤتمر ((ليفورن)) الذي شهد تأسيس الحزب الشيوعي الإيطالي على يده و يدي رفاقه الآخرين أمثال بورديغا وتوقلياتي.

- ١٩٣٣/ يتزوج في موسكو بعد أن عينه حزبه ممثلاً له في الاتحاد السوفيتي، ويحضر المؤتمر الرابع للأممية الشيوعية.

- ١٩٣٣/١٩٣٥/ يعود غرامشي إلى إيطاليا حيث انتخب نائباً في اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الإيطالي خلال الأزمة التي نشبت بعد مقتل النائب الاشتراكي ((مايتوتي)).

- ١٩٣٦/ يشارك في مؤتمر الحزب الثالث في ((ليون)) ويضع مع ((توقلياتي)) الاطروحات الخاصة بالإستراتيجية الجديدة للحزب.

- ١٩٢٧/١٩٣٦/ تقوم المحكمة الخاصة بالدفاع عن الدولة التي كونها الحكم الفاشي لموسوليني بالحكم عليه بـ ٢٠ سنة سجناً، وفي السجن يبدأ في كتابة ((دفاتر السجن)) مؤلفه الأساسي، وتتأزم صحته ويصاب بأزمة عصبية خطيرة، فضلاً عن مرض السل الذي صاحبه في السجن فينقل إلى عيادة، وفي أكتوبر يخرج من السجن بحرية جزئية (بوزوليني، د.ت، صفحة ٥٠) .

يبدو أن هذه السيرة الحياتية محددة بالتواريخ أكثر من سرد الأحداث، على الرغم من أنها لا تخلو من الإشارات والاحالات إلى الانتقالات بتاريخ غرامشي وتطوره السياسي، إلا أن هناك حقائق ضرورية وأساسية لا يمكن غض النظر عنها لا سيما أنها أساسية ومهمة في حياة غرامشي، فمثلاً ان ماكيوكشي تذكر في عام ١٩٣٦ مشاركة غرامشي في مؤتمر الحزب الثالث في ليون، فمهلة الصراعات التي خاضتها الأحزاب (الحزاب المعارضة) ضد سلطوية موسوليني، إذ أنه ظل يلعب لعبة القط والفأر مع أحزاب المعارضة على المستوى القانوني على الأقل كما وصفها جيوفري نوبل سميث (هور، ١٩٩٠، صفحة ٨٦) .

المؤكد، أن أعمال غرامشي، التي ظهرت في عام ١٩٣٧، كتبت جميعها في زنزانته، ولم تكن تعرف انتشاراً لا في تفاصيلها، ولا في أفكارها، لأنها صدرت جميعها بعد وفاته، اعتقل انطوان غرامشي، الأمين العام للحزب الشيوعي وعضو مجلس النواب، في روما، مساء يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٦، في بيت بـ «سارج» يحمل الرقم ٢٥ الواقع بشارع «ج.ب مورغانيي»، كان غرامشي قد استأجر به غرفة مفروشة. بعد ستة عشر

يوماً من الاعتقال في سجن «ريجينا كولي»، التابع لـ «الصحة الايطالية»، نقل إلى جزيرة «أوستيكا»، التي تبعد بضع مئات من الكيلومترات في الشمال من «باليرمو»، حيث اضطر لتمضية عقوبة خمس سنوات من الاعتقال. وصل إلى الجزيرة في ٧ ديسمبر. وغادرها في ٢٠ يناير ١٩٢٧ وتم نقله إلى سجن «سان فيكتور» في «ميلانو»، بتهمة التآمر ضد سلطات الدولة، وإثارة الحرب الأهلية، والتحريض على الكراهية الطبقية، وتمجيد الجريمة والدعاية الهدامة (غرامشي، ١٩١٤، الصفحات ٩–١٠) .

تم الانتهاء من التحقيق معه في مايو ١٩٢٨، وكان غرامشي قد أقتيد مرة أخرى إلى «ريجينا كولي»، استغرقت محاكمته ورفاقه الشيوعيين فترة ما بين ٢٨ مايو و٤ يونيو ١٩٢٨. ترأس المحكمة الخاصة الجنرال «سابوروتي» الذي احتفظ باستنتاجات النائب «إسغورو» فتمت إدانة أنطونيو غرامشي وحكم بعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام في يوليو عام ١٩٢٨، تم إيداع غرامشي، سجن الطوارئ بـ «تورينو»، في محافظة «باري»، بالزنزانة رقم ٧٠٤٧ التي لم يغادرها إلا إلى الموت. كانت حالة غرامشي الصحية في السجن سيئة، ومصاباً بالوهن باستمرار، أن غرامشي أثناء مراسلته لوالدته، يثير دائما مسألة وضعه الصحي، محاولاً قدر المستطاع إقناع أمه أنه يتمتع بصحة جيدة، ومعنويات عالية، تمكنانه من الاستمرار في المجابهة والمقاومة، بينما الحقيقة التي حاول إخفاءها هي أن غرامشي كان أقل مقاومة. وأكثر هشاشة. كان يعاني من متاعب في المعدة وكانت الاضطرابات المعوية تدفعه إلى بصق الدم. كان يعاني أيضا من الصداع النصفي المزمن، والأرق المستمر. في أكتوبر من العام ١٩٣٠ (غرامشي، ١٩١٤، الصفحات ٩–١٠) .

لم يكن ينام أكثر من ساعتين في في اليوم كله، وكان عندما يستسلم لغفوة من النوم، يتولى الحارس الذي تلقى الأوامر بإزعاجه، فتح وإغلاق باب الزنزانة محدثاً ضوضاء متعمدة، وما أن يستيقظ غرامشي، حتى يفقد قدرته على العودة إلى النوم ثانية، كانت أغلب المواد الغذائية، التي تعطى له لا يستطيع هضمها، زد على ذلك أن غرامشي لا يثق بتاتا في الأطباء، ورغم ذلك فقد كان يستجيب لجرعات العلاج في محاولة منه للبقاء على قيد الحياة. كان غرامشي، يحارب يومياً ما أسماه بروتين السجن، فسن لنفسه خطة عمل، بالرغم من المعاناة الجسدية والنفسية، ورقابة و سيطرة إدارة السجون، ورغم عدم قدرته على توفير الوثائق الأساسية والمواد الببليوغرافية الضرورية في الوقت المناسب، رغم ذلك، فقد تمكن من كتابة اثنين وثلاثين دفترا، أي ثلاثة آلاف صفحة مكتوبة بخط اليد، ما يقابل أربعة آلاف صفحة. (غرامشي، ١٩١٤، صفحة ١١)

حوكم في روما في أيار ١٩٢٨ بتهم محاولة تخريب الدولة وازرع الطبقي، صدر عليه الحكم بالسجن لمدة عشرين عاماً من أجل أن نوقف هذا الدماغ عن العمل للعشرين سنة القادمة على حد تعبير المدعي العام (كبل غرامشي) بالسلاسل ووضع في شاحنة لنقل المواشي لنقله إلى السجن في (توري دي باري). استغرقت الرحلة أسبوعين في طقس حار خانق، وعندما وصل إلى سجنه كان في وضع صحي قريب من الانهيار الجسدي التام، تدهورت صحته السيئة في السجن تحت أثر انعدام الرقابة والمعالجة الصحية وغذاء السجن الشحيح. في غضون أعوام قليلة، فقد معظم أسنانه، وكتب لأخته في رسالة بتاريخ ٣/١١/١٩٣٠ : ١١ لقد انتهيت من إحصائيات تشرين الأول: نمت خمس ساعات في ليلتين، ولتسع ليال لم أنم أبداً في الليالي المتبقية نمت أقل من خمس ساعات كانت غرفته بجانب غرفة الحرس، كما كانوا يوقظونه ثلاث مرات ليلياً للتفتيش. انهارت صحته مرتين: في أيار ١٩٣١ وفي آذار ١٩٣٣ عندما أوشك على الموت. نقل في كانون الثاني ١٩٣٦ إلى مصح في فورميا، وعندما لم تتحسن صحته نقل إلى مصح كوسيسانا في روما. ثم خفض الحكم عليه إلى عشر سنوات، إلا أنه توفي في ٢٧ نيسان ١٩٣٧، بعد خروجه من السجن بأسبوع (غرامشيٍ، ٢٠١٧، الصفحات ١١-١٢) .

ثانياً: مؤلفات غرامشي:

تشكو كتابات غرامشي من قدر لا بأس به من الإشكال والغموض، معظمها غير مكتمل، أو على شكل ملاحظات أو تصاميم أبحاث ومقالات ودراسات كتب معظمها في السجن، وكان المدعي العام الفاشستي قد طلب للسجين أقصى عقوبات السجن لمنع هذا المذهن من التفكير، حسب تعبيره، فيمكن تصور في أي ظروف صحية قاسية كان غرامشي يفكر، ويكتب، ما اضطره الامر إلى التورية والغموض المتعمد. هذا عدا عن الغموض الأصلي لبعض المفاهيم لجدتها، أو جدليتها (أي تناقضها)، أو طابعها الاختباري والافتراضي، أو لتعدد المدلالات للمفهوم الواحد، ما يجعله حمال أوجه وتأويلات. (غرامشِي أ.، ٢٠١٧، صفحة ٧) لانطونيو غرامشي مؤلفات عديده، لكن هذه المؤلفات اغلبها كتبت داخل السجن وهي (Agora، د.ت)

١. كراسات السجن:

٢. الأمير الحديث قضايا علم السياسة والماركسية:

٣. في الوحدة القومية:

٤. كراسات السجن ملاحضات حول السياسة:

٥. كراسات السجن الأساليب الامريكية:

٦. كراسات السجن حول فلسفة الممارسة الجزء الأول:

٧. كراسات السجن حول فلسفة الممارسة الجزء الثاني:

٨. رسائل السجن رسائل غرامشي الى امه:

٩. شجرة القنفذ والرسائل الجديدة:

١٠. ضد التشاؤم :

١١. لماذا اكره راس السنة.

١٢غرامشي دراسات مختارة.

ثالثاً: تأثير غرامشي:

هناك العديد من الشخصيات التي تأثر بها غرامشي وهم:

١. انجيلوتاسكا (١٨٩٢– ١٩٦٠):

كان رفيق غرامشي السياسي الأول وأستاذه بعد وصوله إلى تورين هو أنجيلوتا سكا الذي أصبح لاحقاً زعيم الجناح اليميني في الحزب الشيوعي الايطالي إلى حين طرده منه بعد الانعطاف إلى اليسار في ١٩٢٩، كان تاسكا وهو ابن أحد عمال السكك الحديدية وقد ولد في العام الذي ولد فيه غرامشي نفسه، نشيطاً في صفوف الحزب الاشتراكي عام ١٩٠٩ ، وفي ١٩١٢ أعطى غرامشي نسخة من رواية الحرب والسلم وقد كتب عليها العبارة التالية : الى زميلي الطالب اليوم ، ورفيقي المناضل، كما آمل، غدا». في تشرين الثاني ١٩١٢ انتقل غرامشي إلى شارع تاسكا، وبعد عام إلى البناء نفسه، وفي الوقت نفسه تقريباً انتسب إلى الحزب الاشتراكي كان تاسكا قد حقق شهرته على المستوى الوطني داخل الحزب في كونفرنس الشباب الذي عقد عام ١٩١٢ حين اصطدم بالرجل الذي كان سيهيمن على الحزب الشيوعي الايطالي في سنواته الأولى، ويقود بالتالي كتلته اليسارية إلى حين طرده في ١٩٣٠ : آماديو بورديغا. وبودريغا ابن أحد عمال الاقتصاديين الزراعيين هذا نشأ وترعرع في بيئة مثقفين اشتراكية بمدينة نابولي وسرء نجح، عبر حيويته الهائلة – سيقول عنه غرامشي إنه قادر على القيام بأعمال ثلاثة أشخاص مجتمعين (هور، ١٩٩٠، صفحة ١٩) .

٢–كروتشه (١٨٦٦_١٩٥٢):

ثمة تأثير فلسفي وثقافي أكثر أهمية بما لا يقاس تعرض له غرامشي في سنواته الأولى كان تأثير (بنديتو كروتشي) وكروتشي هذا كان تلميذاً للابريولا واعتبر نفسه، خلال فترة قصيرة، بين عامي(١٨٩٥ و١٩٠٠)، ماركسياً. ولكنه مالبث أن ارتد معلناً أن الماركسية ليست مفيدة إلا بوصفها مذهباً بسيطاً يمكن اعتماده في البحوث والدراسات التاريخية ومذيعاً بعجرفة صارخة، وموت

الماركسية النظرية في إيطاليا الذي تزامن مع ارتداده هو عنها من غير الممكن المبالغة في تقويم تأثير كروتشي على الثقافة الايطالية حتى اللحظة الراهنة. فعلى الرغم من تخليه عن الماركسية ظل العديد من أفكاره وآرائه تدق على وتر حساس بين صفوف المثقفين الشباب اليساريين في الفترة ماقبل الفاشية : ولا سيما علانيته ومعارضته للايديولوجية الوضعية التي كانت سائدة من قبل، أما سياسياً فإن دوره ظل غامضاً باستمرار. فدعواته إلى التجديد الأخلاقي كانت تنطوي على أصداء بالغة الخطورة، كما سيتضح من تأييده لموسوليني في أوائل العشرينات . غير أن ارتباطه المستمر بالمنظر النقابي الفرنسي جورج سوريل ساعد على إبقاء الوهم القائل بأن فلسفته يمكنها أن تكون فلسفة لصالح اليسار (هور، ١٩٩٠، صفحة ١٢)

يرتبط جوهر نقد غرامشي الناضج لفلسفة كروتشي لتجريد الأخير حركة التاريخ من صراع الأضداد واختزاله إلى ديالكتيك مفهومي بحت ليس إلا، إلى «ديالكتيك التمايزات». وفي حين أن مثل هذا التخطيط، بزعم غرامشي، قد يجد مكاناً له في فلسفة مجتمع زالت منه نزاعاته الفعلية وتم فيه تحقيق وحدة المعرفة والوجود، وهو أمر مستحيل في المجتمع الطبقي ، آخر الأمر، فإنه لم يكن قادراً على تقديم صورة عن الطبيعة الفعلية الملموسة لتاريخ يتحدد أساساً بالصراع الطبقي (هور، ١٩٩٠، صفحة ٢٢) .

٣–موندولفو:

موندولفو فكان شخصية أكثر اتصافاً بالجدية، والفيلسوف الأول، بعد موت أمالابريولا للاشتراكية الإيطالية، أما مساهمته الرئيسة في الماركسية فقد تمثلت في محاولته ووجهة النظر هذه لا بدّ من التعامل معها بحذر، في إحدى سانه يتفق فكر غرامشي آراء موندولفو إلا سمة التخفيف المضطرد من العنصر المادي في مؤلفات ماركس، هذا التخفيف الذي يجري، لدى غرامشي على الأقل، استبداله بالتأكيد على الحلولية الوحدانية واستئصال الميتافيزياء، غير أن غرامشي، على العموم، يبرز موقفه النقدي من موندولفو وحرصه على إعادة تأكيد الماركسية الجوهرية للابريولا في مواجهة كل من أولئك الماركسيين الذين انتقدوه على مثاليته من جهة والمثاليين الذين زعموا أنه منهم من جهة ثانية، أما توغل موقف موندولفو الناضج مع وهي من الماركسية في ثقافته خلال هذه المرحلة المبكرة فأمر مؤكد، ولكن هناك، كما سيشير غرامشي نفسه فيها بعد فيما يتعلق بماركس تمييزاً لا بدّ من رؤيته بين الثقافة الفلسفية الشخصية لأي مؤلف ما قرأه وتمثله وربما رفضه في

مراحل مختلفة من حياته - من جهة (هور، ١٩٩٠، صفحة ١١).

المرتكزات الفكرية لغرامشي

هناك العديد من الأفكار أو المفاهيم التي طرحها غرامشي

١. مفهوم المثقف عند غرامشي:

من هو المثقف؟ إن غرامشي لا ينطلق من تعريف المثقف من التصنيفات والمراتب التي تحددها الرؤية الاكاديمية الصرفة، والسيوسيولوجية للمثقفين، والتي تعتمد على معايير التخصص المدقيق والتقنية في التعليم، والمهنة، ووظيفتها التكنوقراطية والبيروقراطية، ومستوى المعيشة، ونمط الاستهلاك وأسلوب الحياة، وعلى معايير سياسية، ونظرة ايديولوجية وثقافية في إطار تعدد مستويات الانتساب التي نجدها عند المثقفين، في المجالات المتعددة الاقتصادية والبحث العلمي والتقني والتعليم والسياسة، والايديولوجيا والثقافة، ضمن إطار التقسيم الاجتماعي السائد، غير أن غرامشي في تحديده لمفهوم المثقف نجده يتخطى جدلياً وتاريخياً المفهوم، الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر الأوربي، والذي يتسم بالتمييز بين العمل اليدوي والفكري والمذهني، والعمل اليدوي والساعد بتوجيه ضربة قاضية للافكار المسبقة حول المثقفين بوصفهم طبقة وراثية مغلقة، حين قال: إن كل البشر مثقفون، مستدركاً في الوقت عينه ولكن ليس لكل البشر وظيفة المثقفين في المجتمع، والحال هذه فهو يعتبر كل انسان يمارس مهنة، وحتى خارج مجال مهنته هو إنسان يمارس نوعاً ما من النشاط الثقافي، أي أنه فيلسوف فنان، انسان متذوق، يشارك في تصوره عن العالم، لديه خط واع لمسلك أخلاقي، ومن ثم فإنه يسهم في دعم أو تعديل تصور ما عند العالم، أي يثير سبلاً جديدة في التفكير (توفيق، د.ت، صفحة ٧٥)

.

عندما نميز المثقفين عن سواهم لسنا نشير في الحقيقة إلا إلى الوظيفة الاجتماعية المباشرة المتي تمارسها فئة من المثقفين المحترفين، أي اننا نأخذ بعين الاعتبار الوجهة المتي يبذل فيها النشاط المهني المخصوص في البلورة الفكرية أو في الجهد العضلي العصبي، هذا يعني انه اذا كنا نستطيع التحدث عن مثقفين، فالحديث عن غير مثقفين لا معنى له، إن العلاقة بين جهد البلورة الفكرية الذهنية وبين الجهد العضلي–العصبي ليست بالعلاقة الثابتة، لذا فنحن هنا امام مستويات متفاوتة من النشاط الفكري المخصوص، فليس ثمة من فعالية بشرية لا يدخلها جهد فكري، يستحيل عزل الإنسان الصانع عن الإنسان العارف، واخيراً يمارس كل منا فعالية ذهنية معينة خارج نطاق اختصاصه المهني، انه بعبارة اخرى، فيلسوف أو فنان، يساهم في تعزيز رؤية شاملة

ما أو في تغييرها، أي في تشجيع انماط تفكير جديدة (غرامشي، ١٩٧١، صفحة ١٣١).

ولئن كان المثقفون مرتبطين عضوياً" بالطبقات الاجتماعية فانهم يشكلون مع ذلك شرائح تتمتع باستقلال ذاتي نسبي حيال الطبقات الاجتماعية فالمثقف ليس عضواً في طبقة بنفس صفة الافراد الآخرين. فهو ليس متدبقا في طبقة اجتماعية، وانما مرتبط بها. فمن اين ينبع هذا الاستقلال الذاتي للمثقف.

يعود استقلال المثقفين الذاتي أولاً إلى نوعية وظائفهم، كونهم منظمين، ومربين، وعلماء ومحققي تجانس الوعي الطبقي على المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والطابع الضروري لوظائفهم يؤدي سلفاً إلى نوع من الاستقلال بيد ان الاستقلال الذاتي ينشأ بوجه خاص عن المنظمات التي يعملون في اطارها، فلئن كان المثقفون مشدودين بالمنظمات إلى الطبقات الاجتماعية، من جهة اولى، فان وجود هذه المنظمات بالذات يحدث، من جهة أخرى، فجوة ما بين المثقفين والطبقات الاجتماعية، انها لحقيقة لا تخلو من تناقض ظاهري ولكن هنا أيضاً لا وجود لتبعية ميكانيكية، احادية الجانب (بيوتي، د.ت، الصفحات ٣٠-٣١)

٢. الحزب:

يشكل الحزب في أحيان أخرى القائد الفكري والعملي للطبقة، وهو مؤطرها، وناظم نشاطها، وشاد عصب إرادتها، إنه "المثقف الجمعي" للطبقة، على قولة غرامشي، وليس يقتصر لعب هذا الدور على أحزاب الطبقة العاملة. فكل حزب سياسي يحمل هاتين المهمتين بطريقة أو بأخرى: القيادة الفكرية والتنظيم الإرادوي (غرامشي أ.، ٢٠١٧، صفحة ١١).

في ظل هذه الخلفية رفض غرامشي فكرة قيام الحزب الشيوعي بصياغة السياسة الاجتماعية من جانب واحد، وشدد على ضرورة مساهمة الأفراد والجماعات في صنع السياسات: "وإلا فإن الشيوعيين سيصبحون إداريين معنيين بالآلة الاجتماعية. ونتيجة لذلك، يعتقد الكثير أن أفكار غرامشي تهيمن الآن على الاشتراكيين الأوروبيين الجدد وليس أفكار لينين، لا سيما في الاشتراكية. انفتاح الفكر على الفلسفة. في رأيه، ما قاله ماركس في عام ١٩١٨ لم يكن مسيحيًا. فضاء، لأن القاعدة الوحيدة واضحة وملزمة ، فالقاعدة الوحيدة هي شعار أوه عمال العالم اتحدوا. لم يتم بعد شرح ومناقشة التفاصيل التي تتجاوز هذا الأمر علميًا، وعلى هذا الأساس وضع غرامشي نظرية مفادها أن "اتحاد البروليتاريا والفلاحين، اتحاد الطليعة الصناعية والمتعلمة. وفي أفق هذه النظرة لطبيعة وكيفية التحالف أسس غرامشي لمفهوم (الكتلة التاريخية) حيث يشكّل

المثقفون "الاسمنت العضوي الذي يربط البنية الاجتماعية بالبنية الفوقية ويتيح تكوين كتلة تاريخية واسعة بالنخبة الواعية (غازي، د.ت) .

لن يصبح الحزب هو الفاعل الوحيد للعملية الثورية، ولا يمكن للحزب فرض قراراته على المجالس وهو الشيء الذي سبب فشل الثورة في ألمانيا على حسب غرامشي فعندما فرض الحزب أعضاءه على العمال تشتت الهمم، وأخيرا فإن نظرة غرامشي إلى العلاقة بين الحزب والمجالس كانت ممثلة تماما للنظرية الماركسية إلى العلاقة بين السياسة والاقتصاد: لا يمكن لأي شكل من أشكال السياسة أن يفهم ويبرر تاريخيا إلا كهيكل حقوقي للسلطة السياسية الفعلية وإذا كان للحزب الاشتراكي أن يتسبب في الثورة بايطاليا فإنه يجب تأمين القاعدة الاقتصادية للدولة الاشتراكية. إضافة إلى عدم الاهتمام الذي كان سائد من دور المجالس فإن غرامشي انتقد عدم قدرة الحزب الاشتراكي على تنظيم الجماهير وظل داخليا منقسما على نفسه بين الاصطلاحين والراديكاليين، ومع ذلك فقد حافظ غرامشي في البداية على حياده ووحدة الحزب وفي نفس الوقت أبقى على مكانته الإدارية (عضو اللجنة التنفيذية) وأصبح لا يبالي كثيرا بصراع الأجنحة في الحزب وصب اهتمامه ووقته في تثقيف العمال وتطوير نضالهم الطبقي وتحضير البروليتاريا لتكون طبقة حاكمة، وفي ماي ١٩١٩ أصبح رئيس تحرير مجلة النظام الجديد (بالإيطالية) التي أصدرها مع صديقه توليياتي (غرامشي ج.، د.ت، صفحة ٣٦) .

كانت الكتابات والأهمية المتزايدة التي منحها غرامشي للمجالس بداية لازمة حادة في الحزب الاشتراكي فمع نهاية (١٩١٩)عارض عضو الحزب الاشتراكي وممثل الراديكاليين في الحزب سيرتي فكرة دخول كل العمال إلى المجالس بمن فيهم الغير منخرطين في النقابات وحاول غرامشي في صحيفته النظام الجديد توضيح شيئين: أولا : أحقية كل عامل في بالمجالس، ثانيا: أولوية المجالس (العمال) عن الحزب باعتبارها أجهزة ثورية. ومن سؤ العضوية الطالع أن لينين أثناء هذه الأزمة بعث بالصدفة رسالة مديح لسيراتي وحذره من خطر الانتهازيين في الحزب، الأمر الذي شجعه على رفض أي تغيير في خطة الحزب، وفي هذه الأثناء وجد غرامشي نفسه في مواجهة صريحة مع الجناحين الأساسيين للحزب، من جهة كاريزماتية سيراتي داخل الحزب ومن جهة أخرى الغالبية الساحقة للإصلاحيين الذين كان غرامشي ينعتهم بالمثبطين للعمل الثوري، فهو لم يعتقد بولائهم لمبادئ الثورة وحارب فكرتهم عن قلة نضج ظروف الثورة في ايطاليا. دخلت سنة ١٩٢٠ بموجة من الانتفاضات في كل أوربا كانت أسبابها في الغالب اقتصادية ولم تكن ايطاليا الاستثناء طبعا وبالفعل

سادة حالة من الفوضى وفي أفريل ١٩٢٠ حين حدث إضراب عفوي في تورينو يعتقد أن سببه الخفي هو صراع حول من يسيطر في المصانع العمال أو أرباب العمل، وعم الإضراب وسانده الحزب الاشتراكي لكن سرعان ما فشل وسيكون لهذا الفشل الأثر الكارثي على كل تاريخ الحركة الاشتراكية في ايطاليا ولقد ارجع غرامشي سبب فشل الإضراب في العزل الذي مارسه الحزب الاشتراكي على العمال فلم يسمح باتساعه خارج تورينو (غرامشي، ٢٠١٧، الصفحات ٤٩–٥٠) .

الهيمنة :

استحدث غرامشي مفاهيم لم تكن مطروقة في حقل الفكر الماركسي، مثل مفهوم الهيمنة الثقافية التي تعني أن الطبقة البرجوازية تهيمن على المجتمع لا بامتلاكها وسائل الإنتاج وإدارتها والتحكم بمؤسسات الدولة وحسب، وإنما من طريق فرض تصوراتها وأفكارها على المجتمع أيضاً، إلى الحد الذي تستدرج معه الطبقة العاملة لتبني تلكم التصورات والأفكار، أن مشروع الهيمنة الثقافية، يسبق الاستيلاء على السلطة السياسية, وهذا يعني أن من مهام المثقف العضوي الرئيسية هو اختراق أجهزة الدولة الايدولوجية للهيمنة حتي في ظل سلطة برجوازية، ولكون جرامشي يدرك أن هذا الاسلوب سيعتمد على الصراع والتناحر في داخل اجهزة الدولة نفسها, (جورج، أ يار (مايو) ١٩٨٧، صفحة ٤٢٥) .

لقد استطاع غرامشي أن يطرح مفهوم الهيمنة بطريقة عملية لا تمت بصلة لأي استخدام سابق له، أن مصطلح الهيمنة قط خرج على يد غرامشي من ذلك المعنى التقليدي الذي يستخدمه المحافظون والثوريون على حد سواء ويعنون به سطوة البرجوازية وتسلطها واستغلالها، بل خرج أيضا عن ذلك المعنى المعنى المذشق من ذلك المعنى القديم، والذي يعني سطوة بلد على آخر بمعنى الإستغلال القائم على أساليب الإبتراز الإستهلاكي ولكي نفهم الهيمنة بالمعنى الغرامشوي لا بدّ أن نفهم سلفا أن غرامشي لم يكن يعتقد كما اعتقد ماركس وانجلز بأن الدولة أداة هي أدوات الطبقة الحاكمة تستخدمها لتحقيق مصالحها، بل أن الدولة نسيج عضوي شديد التركيب والتعقيد لها أكبر دور في التأثير في القيم السائدة (المنهل، ٢٠١٤، صفحة ٢٧٤) .

يقول الكاتب البريطاني التقدمي " ستيفين جونز" في كتابه عن الفيلسوف أنطونيو جرامشي "ان غرامشي لا يمكن فهمه حتى اليوم إن لم ندرك ما يحيط العالم من ظروف مادية تاريخية ويضيف ستيفين جونز قائلاً "إن نظرية الهيمنة لدى غرامشي لا تنفصل عن مفهومه للدولة الرأسمالية التي يقول عنها، بأنها تقود المجتمع

عن طريق القوة وعن طريق التراضي في ذات الوقت. أ ما الدولة في رأ يه فليس ت هي الحكو مة، إذ ها المجت مع السياسي، حكومة و بوليس و جيش ومنظو مة قانوني ة، ومجت مع مدني ي ضم الأ فراد و مجالاتهم الاقت صادية، الأول يسير بطريق القوة والثاني ي سير بالترا ضي، و هو يرى بأن الرأسمالية الجديدة عَرَفَت ك يف ت لبي ب عض الإصلاحات متجاوبة مع مطاليب النقابات والعمال خوفاً من أن تأك لها الث ورة الش املة ضدها، فحاف ظت ع لى مكانتها في قيادة المجتمع من دون أن تخسر شيئاً، إنها ذكية جدا إذ التفت على أطرو حة كارل ماركس ا لتي تنبأت بانهيار ها من خلال الث ورة الش يوعية الش املة عندما تصل البروليتاريا إلى حد الجوع (غازي، د.ت).

تطبيقات غرامشي الفكرية في الواقع

١. الدولة و المجتمع المدني ثنائية الدولة

المجتمع المدني، مفهوم مركزي في فكر غرام شي ي عرف المجتمع المدني على أنه "مجموع المؤسسات ا لتي عادة ما تسمى مؤسسات خا صة"، وي ضيف إلي ها العلا قات الاقتصادية، ويعرف الدولة بأنها شبكة من الن شاطات العملية والنظرية، لا تكتفي الطب قة الحاك مة بوا سطتها بتبرير سيطرتها، والمحافظة عليه ها ف قط، وإ نما تع مل أيضاً على كسب الموافقة النشطة من المحكومين. و يرى غرام شي إلى التمي يز بين الن طاقين المجت مع المدني/المجتمع السياسي تمييزاً منهجياً، وليس تمي يزاً عضوياً، فكلاهما مندمج، في الحياة التاريخية العيان ية، في ما يسميه "الدولة المندمجة" التي لا تمارس ن شاطات سياسية فقط، بل اجتماعية واقت صادية وأخلاق ية أي ضاً تمارس الدولة أدوارها بوجهين: الوجه الأول هو القسر، بوا سطة أجهرت ها ال سلطوية الع سكرية والأمن ية وال قوانين؛ بل إن أول أدوار الق شر تمار سه الدو لة بواسطة ما يسميه □يري أندر صن الق وة الص امتة، أي احت كار الدو لة ال قانوني للع نف، والو جه ال ثاني هو التوافق الذي يحققه الفر يق الم سيطر ع لى الدو لة، من خلال تعميم فكره، بواسطة مؤسسات المجتمع ا لمدني، بحيث يتحول هذا الفكر إلى رأي عام، أو حس مشترك، تشاركه فيه فئات واسعة من المحكومين. و شرط قدرة ذلك الفريق على أداء دور القيادة/الهيم نة الثقاف ية هذا هو أن يتجاوز مصالحه الاقت صادية الحرف ية. وفي ظني أن غرامشي هنا لا ي غدو كو نه ي ستلهم ويو سّع مف هوم ل ينين عن الانت قال من ا لوعي الن قابي إلى ا لوعي السياسي، الذي ي شترط تحرر الطب قة العام لة (أو أ ية طبقة أخرى صاعدة) من مصالحها الاقتصادية الحرفية؛ لكي تستطيع أن تقدم نفسها للمجتمع، بما هي قا ئدة مشروع تغيير مجتمعي شامل، وليس مجرد تغيير سلطة بأخرى (غرامشي، ٢٠١٧، الصفحات ٨–٩).

وهكذا، فإن المجتمع المدني عند غرامشي ميدان لإعادة إنتاج وتعميم فكر الطبقة المسيطرة وقيمها، من خلال ثلاث مؤسسات رئيسة العائلة والمدرسة والمؤسسات الدينية التي يصفها بأنها "الخنادق الخلفية" للدولة، بالمقارنة مع "خنادقها الأمامية" المكونة من أدوات السيطرة العسكرية والأمنية. و يدعو غرامشي الطبقة الطامحة إلى السلطة أكانت قوى النهضة القومية الإيطالية في القرن التاسع عشر؟ أم الطبقة العاملة الإيطالية المعاصرة التي يخاطب إلى أن تمارس هي أيضاً القيادة الهيمنة الثقافية، قبل استيلائها على سلطة فتخوض الصراع ضد الطبقة التي تمارس الهيمنة الثقافية داخل المجتمع المدني، بتوليد ثقافة مضادة وبديلة. ويذكر غرامش أيضاً الطبقة الساعية إلى السلطة السياسية بأن الحفاظ على مواقعها بعد استلامها السلطة، يستلزم الاستمرار في ممارستها القيادة، إلى جانب ممارستها السيطرة تجدر الإشارة إلى مساهمة غرامشي الكبرى في الثورة وهي فن وليست مجرد علم إذ يميز بين اللحظة السياسية واللحظة العسكرية. فلكل منهما منطقه وأدواته وأساليبه وعقباته وعواقبه، والانتقال من الواحدة إلى الأخرى انتقال نوعي استراتيجي، وليس مجرد انتقال ظرفي، أو تكتيكي، لكنه يشدد في المقابل على أهمية إخضاع العسكري دوماً للسياسي، والقيادة العسكرية للقيادة السياسية (غرامشي أ.، ٢٠١٧، الصفحات ١٢-١٣).

٢. الطبقات والتمثيل الطبقي:

عند النظر في مفهوم الدولة/المجتمع المدني، تجلت محورية الطبقات وتمثيلها السياسي والفكري والثقافي وتعدد أنماط الصراعات الطبقية والفروقات الاجتماعية في فكر غرامشي. وأبرز ما فيها تعدد أشكال وأجهزة التمثيل الطبقي والتفارق بين القوى الاجتماعية والطبقات، من جهة، وممثليها السياسيين ومؤسساتها السياسية، من جهة أخرى. في أبحاثه التاريخية عن النهضة القومية الإيطالية (غرامشي أ.، ٢٠١٧، الصفحات ١٤-١٥)، يكتشف غرامشي ما اكتشفه ماركس وإنغلز ولينين من قبل: التفاوت بين مصادر السلطة الاقتصادية ومصادر السلطة السياسية، وعدم التطابق الضروري بين الطبقة الاقتصادية والطبقة السياسية. تستعير البرجوازية في حقبة صعودها خصوصاً عناصر من علاقات إنتاج، وعلاقات اجتماعية، وقوى اجتماعية، وفرقاء سياسيين، سابقة على الرأسمالية، لتلعب أدوارها في تمثيل الرأسمالية، وتوفير الإطارات لحكمها، ولسلطتها، والإدارة، وتولي الأجهزة العاملة على تبرير سيطرتها وتسويغها، ويستخدم غرامشي مثال اليعاقبة، للدلالة على الظاهرة التي يلحظها في عملية

التوحيد القومي الإيطالي. واليعاقبة في الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ فريق سياسي، ينتمي إلى الطبقات المتوسطة، فرض نفسه على البرجوازية، وصاغ لها مشروعها المجتمعي الشامل، ودفعها للذهاب في تحقيقه إلى أبعد مما ترغب البرجوازية في احتلاله من مواقع، أو بلوغه من أهداف، بالاتكال على مصالحها الاقتصادية الحرفية المباشرة، وعلى حد وصف غرامشي لا يقتصر الأمر على هذا التفارق الذي يستمر حتى بعد توطد سلطة البرجوازية في الحكم. يتابع غرامشي في تاريخ النهضة القومية الإيطالية معاينة تعدد وتنوع أشكال وأجهزة التمثيل السياسي للطبقات، ولشرائحها. وتتراوح هذه بين دولة وحزب وجهاز مثقفين وجريدة (غرامشي أ.، ٢٠١٧، الصفحات ١٣-١٤).

٣. الفوارق الاجتماعية غير الطبقية:

لعل أبرز مساهمات غرامشي في الماركسية تكمن في تجاوزه الاختزالية الطبقية، والتحتيم الاقتصادوي، وذلك بالشغل على ثلاثة أنماط من التناقضات والفوارق الاقتصادية الاجتماعية الأخرى: تفاوت النمو بين المناطق الجغرافية؛ التناقض بين المدن والأرياف؛ التناقض بين العمل الذهني والعمل اليدوي، يعرف كارل ماركس المجتمع الشيوعي بأنه ذلك الذي تزول فيه الطبقات، وتهدم معه الصراعات الطبقية، إلى أن تضمحل مع اضمحلال الدولة. ولكنه يستدرك أنه بعد زوال الطبقات والصراعات الطبقية، وحتى بعد اضمحلال الدولة ذاتها، يبقى على المجتمع أن يعالج ما تبقى من تناقضات بين البشر، وأبرزها اثنان: التناقض بين العمل الذهني والعمل اليدوي، والتناقض بين المدينة والأرياف. إذا كانت هذه التناقضات باقية بعد زوال التناقضات الطبقية، وهي الناظم الأبرز، دون أن يكون الأوحد، للتناقضات في المجتمعات الرأسمالية، فيجوز الاستنتاج أن تلك التناقضات أسبق على التناقضات الطبقية، علماً أنه قد طرأت عليها تعديلات جذرية في ظل الرأسمالية، وإذا كانت لا تزول بمجرد زوال الطبقات والصراعات الطبقية، فمن باب أولى القول إنها في المجتمعات قبل الشيوعية مصدر توليد لفروقات ونزاعات، لا‌ست تقل زخماً أو أهمية من الفروقات والصراعات الطبقية. بل يمكن القول عكساً إن التداخل بين التناقضات الاقتصادية الطبقية و هذه الأنماط الثلاثة من التناقض يزيد التناقضات الأولى توتراً وتأزماً إذ ليس من تناقض من الثلاثة المذكورين إلا وله مترتبات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية (هور، ١٩٩٠، الصفحات ٢٢٣-٢٢٥).

ولهذا كله، لا عجب أن يرى غرامشي إلى العلاقة بين المدينة والريف على أنها نقطة الانطلاق المنهجية الضرورية لدراسة القوى الدافعة الأساسية للتاريخ

الإيطالي، لكن نقطة الانطلاق تقود إلى صفحات لامعة من الدراسة العيادية للطبقات والشرائح والقوى الاجتماعية، ولتعبيراتها السياسية والثقافية لدى طرفي تلك العلاقة، تلقاه يحرص على التمييز في المدن الإيطالية بين مدن صناعية ومدن خدمية. ويركز على المسألة الفلاحية، بصفتها المحور والمحك في عملية التوحيد القومي، ويكشف من جهة أخرى تحايل الطبقات الحاكمة على حق الفلاحين في الأرض، بإطلاق الحملة بتمليكهم الأرض (غرامشي أ.، ٢٠١٧، الصفحات ١٦-١٧).

٤. الأيديولوجيا:

تعتبر الأيديولوجيا من أهم المفاهيم التي تهتم بها الماركسية من حيث المحتوى والشكل وآلية التشغيل، من حيث العلاقة بين الأساس المادي والأساس الاقتصادي لحياة الناس وتأثيرها على وعي الناس البنية الفوقية: القانون والسياسة اعتبر جرامشي الأيديولوجيا على أنها عقيدة أو معتقد، أو حتى ديانة، بغض النظر عن أصلها، هذه هي الممارسات والمجموعات التي تحكم السلوك الفردي في تصورنا للوجود والثقافة والأشكال الأخلاقية والأخلاقية والقانونية (كارل، ١٨٤٤، الصفحات ٤-٥).

يحدد غرامشي حقل الإيديولوجيا في شكل هرمية منطقية تتألف من أربع درجات أو طوابق هي التجسدات والأشكال الملموسة التي تتجلى فيها الإيديولوجيا، ويمكن ترتيبها على النحو الآتي: الحس المشترك والفلكلور: سنجمع هذان المستويان لتشابههما واقترابهما من بعضهما المبعض اهتم غرامشي بالتفكير العامي للشرائح الأقل ثقافة في المجتمع وفهم وعيهم الحسي البسيط الذي يكاد يخلو من كل نقد ومع ذلك تعبر الجماهير عن نفسها بداخله رغم هشاشته ووقوفه على التجربة اليومية واقترابه من الاعتقاد والأيمان كالدين. وعمق تفكير يعتبر الفلكلور أكثر تصلبا وتحجرا من الحس المشترك المرن كما انه أكثر تشويشا وعدم تماسك عكس هذا الأخير الذي رغم تهلهله فإنه أكثر انسجاما ومنه فيبقى في القاع كترسبات في أسفل الحياة الثقافية الاجتماعية فهي لا ترتفع لتشكل تصورا موحدا للعالم ولا تعدو أن تكون شذرات متناثرة لما تبقى من التحولات التاريخية (عمار، ١٩٨٤، صفحة ٢١).

نشأ مفهوم الإيديولوجيا في الصراع البرجوازي المبكر ضد الإقطاع وضد المجتمع الأرستقراطي التقليدي. وكانت هذه الصراعات كثيرة جدا وبارزة في القرن الثامن عشر في عصر التنوير البيئة الفلسفية والثقافية المتي في داخلها ولد مفهوم الإيديولوجية للمرة الأولى. الإيديولوجية، بواصفها علم الأفكار، وتصوير الإيديولوجية بوصفها علم الأفكار يستلزم الثقة العميقة في العقل. والتالي، انبثق تصور الإيديولوجيا بوصفها

سلاحا نقديا يستخدم في الصراع أو الكفاح ضد النظام القديم. والحقيقة يمكن ان تتحقق بشكل عقلاني وعملي. فالعقل والعلم هما سلاح المجتمع العقلاني الذي يتوفر فيه التنوير. والثقة في نقد العقل للأفكار المعقولة والأفكار الميتافيزية والدينية، وصور المعرفة المشوهة والخرافية التي تنشر الجهل والخطأ بين الجماهير. وتعمل في صالح قوى الأرستقراط، وتجر التعاسة على البشرية لإعتقاداتها الجاهلة المتحيزة. الإيديولوجيا اعتبرت العقل والتربية هما أساس خلاص البشرية وتحررها، واستلزام هذا الفهم للإيديولوجيا كعلم إعادة تجديد الثقة في التقدم والتفائل والعقل والتربية والإعتقاد في تحرير البشرية (لارين، ٢٠٠٣، صفحة ٥٦).

النتائج:

بينما أختتم قراءتي لأفكار أنطونيو غرامشي، يتضح لي مدى راهنيتها في ظل التحولات الجذرية التي يشهدها عالمنا المعولم، يشير غرامشي إلى أن العولمة قد أفرزت أنماطًا جديدة من السيطرة، ما يجعل الحاجة ملحة إلى أشكال أكثر ابتكارًا وفعالية من الاحتجاج السياسي والاجتماعي. لم تعد أدوات المقاومة التقليدية كافية، بل يتطلب الأمر استراتيجيات تتماشى مع تعقيدات المرحلة الراهنة، وتأخذ في الحسبان طغيان الإعلام الرقمي، وتفكك الروابط الاجتماعية، وتراجع الأطر الجماعية القديمة كالطبقة والنقابة والحزب.

في هذا السياق، تبرز أهمية مفهوم "الهيمنة الثقافية" الذي طرحه غرامشي، والذي يوضح أن السيطرة لا تُمارس بالقوة وحدها، بل من خلال إنتاج القيم والمعاني التي تقنع الناس بقبول النظام القائم بوصفه طبيعيًا وشرعيًا. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى "مثقف عضوي" جديد، ينتمي إلى الطبقات الصاعدة ويعبّر عن مصالحها، لا بالخطاب السياسي وحده، بل من خلال بناء سرديات ثقافية جديدة تُقوّض هيمنة النخب القديمة.

"جيل الهيمنة الثوري" الذي بدأ يتشكل اليوم يحاول بلورة نظريات نقدية ترتكز على ربط المفاهيم الغرامشية بطبقات اجتماعية متعلمة، مدينية، واعية. هذا الجيل لا يتعامل مع الهيمنة باعتبارها قهرًا مباشرًا، بل كمعركة طويلة النفس من أجل تشكيل "كتلة تاريخية" جديدة، قادرة على تجاوز الانقسامات الأيديولوجية والهوياتية، وتأسيس تحالف اجتماعي عريض يُحدث تحولًا جذريًا في بنية الوعي الجمعي، وفي شكل الدولة والمجتمع معًا.

غرامشي يُعلّمنا أن الثورة الحقيقية لا تُخاض فقط في الشارع، بل في اللغة، في الثقافة، في المناهج التعليمية،

وفي وسائل الإعلام، حيث تتشكل بنية المعنى ذاتها، لذلك فإن المقاومة في عصر العولمة لا بد أن تكون متعددة الجبهات: أخلاقية، فكرية، تنظيمية، وإعلامية، تشتبك مع الواقع بأدواته لا تنفصل عنه.

المصادر

Agora. (د.ت). *مدونة شخصية، متوفر على شبكة المعلومات والانترنت على الرابط.* https://m.facebook.com/Agooora/posts/282022096924818 .

الصوراني غازي. (د.ت). *أنطونيو غرامشي، حوار متمدن متوفر على الرابط.* https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=712133.

المديني توفيق. (د.ت). *فكر غرامشي (انترنيت).*

المنهل. (٢٠١٤). *الماركسية الغربية ومابعدها*. الجزائر: منشورات الضفاف.

انطونيو بوزوليني. (د.ت). *سلسلة أعلام الفكر العالمي(غرامشي)، ترجمة سمير كرم، ط١*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

انطونيو غرامشي. (١٩١٤). *رسائل السجن، ترجمة: بوكرامي، ط١*. لندن: طوى للطباعة والنشر.

انطونيو غرأمشي. (١٩٧١). *قضايا المادية التاريخية، ترجمة: فواز طرابلسي*. بيروت– لبنان: دار الطليعة، للطباعة والنشر.

انطونيو غرامشي. (٢٠١٧). *الأمير الحديث، ترجمة: زاهي شرفان وقيس الشامي*. بغداد: منشورات الجمل للطباعة والنشر.

أنطونيو غرامشي. (٢٠١٧). *في الوحدة القومية الإيطالية، ترجمة: فواز طرابلسي، ط١*. بغداد: منشورات المتوسط.

بلحسن عمار. (١٩٨٤). *الرواية والايديولوجيا*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

جان مارك بيوتي. (د.ت). *فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جوروج طرابيشي*. بيروت لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

جورج لارين. (٢٠٠٣). *الايديولوجيا والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة: فريال حسن خليفة*. مكتبة مدبولي.

جون كامبت غرامشي. (د.ت). *حياته وأعماله، ترجمة: عفيف الرزاز*. بحث منشور، جريدة النضال.

جيوفري نويل سميث وكينتين هور. (١٩٩٠). *غرامشي وقضايا المجتمع المدني*. دمشق: كتاب ندوة القاهرة، مركز البحوث العربية.

طرابيشي جورج. (أيار (مايو) ١٩٨٧). *معجم الفلاسفة ط١*. بيروت : دار الطليعة.

ماركس كارل. (١٨٤٤). *مخطوطات لنقد الاقتصاد السياسي، ترجمة: محمد مستجير مصطفى*. برلين : دار الثقافة الجديد.